

الذات الغزيرة بين واقع المقاومة ورموز الانبعاث

- قراءة في قصيدة حارق العنقاء في الطوفان لأدي ولد آدب -

The Gazan Self between the Reality of Resistance and the Symbols of Rebirth - A Reading of Adi Ould Adeb's Poem The Burner of the Phoenix in the Deluge-

سميحة كلفالي

جامعة محمد خيضر - بسكرة، الجزائر، samiha.kalfali@univ-biskra.dz

تاريخ النشر: 2025/12/02

تاريخ القبول: 2025/10/30

تاريخ الاستلام: 2025/09/01

ملخص:

يتناول هذا البحث صورة الذات الغزية في قصيدة "حارق العنقاء في الطوفان" للشاعر الموريتاني أدي ولد آدب باعتبارها تجسيدا لواقع المقاومة ورمزا للانبعاث، مركزا على كيفية تمثل الشاعر لمعاناتها وصمودها من خلال لغة شعرية مشبعة بالرموز ما يجعل النص فضاء فنياً يجمع بين التجربة الوجودية والبعد الرمزي.

انتهت الدراسة إلى أن القصيدة لا تقتصر على توثيق مأساة غزة بل ترتقي بها إلى مستوى رمزي، ليؤكد الشاعر على فكرة الصمود والخلود حيث تتحول غزة إلى عنقاء تنهض من رمادها وتستعيد حضورها في كل مرة عبر فعل المقاومة.

كلمات مفتاحية: الذات؛ الغزية؛ المقاومة؛ الرمز؛ الانبعاث.

Abstract:

This research examines the image of the Gazan self in the poem "The Burner of the Phoenix in the Deluge" by the Mauritanian poet Adi Ould Adeb, portraying it as both an embodiment of resistance and a symbol of rebirth. It shows how the poet conveys its suffering and steadfastness through a poetic language imbued with symbolism, making the text an artistic space that unites existential experience with symbolic depth.

The study concluded that the poem does not merely document the tragedy of Gaza, but elevates it to a symbolic level through which the poet affirms the idea of resilience and immortality, as Gaza becomes a Phoenix that rises from its ashes and regains its presence time and again through the act of resistance.

Keywords: Self; Gazan; Resistance; Symbol; Rebirth.

1. مقدمة:

تُعَدُّ القضية الفلسطينية من أكثر القضايا مركزية في الوعي العربي والإسلامي والإنساني، إذ ارتبطت تاريخياً بمعاني الهوية والمقاومة والحرية، وقد ازدادت بروزاً مع تصاعد العدوان الصهيوني على قطاع غزة خاصة في الأحداث الأخيرة التي بلغت ذروتها مع طوفان الأقصى وما تلاه من حصار ودمار شاملين.

في خضم هذه المأساة برزت أشكال متعددة من التعبير الفني والأدبي التي عبرت عنها وكان للشعر دور بارز في تجسيد هذه التجربة، وفي هذا السياق نظم الشاعر الموريتاني أدّي ولد آدب قصيدته "حارق العنقاء في الطوفان"، التي عبّر فيها عن معاناة الذات الغزّيّة وصمودها من خلال لغة مشبعة بالرموز، ما جعل نصه الشعري فضاءً لتجسيد المعاناة والمقاومة معاً.

تتطلق الدراسة من إشكالية مفادها:

كيف صوّر الشاعر أدّي ولد آدب الذات الغزّيّة في قصيدته؟، وما هي الرموز التي وظفها لتجسيد فكرة الانبعاث والصمود والمقاومة؟.

يهدف البحث إلى الكشف عن تمثيلات الذات الغزّيّة بوصفها صورةً للمقاومة والانبعاث، وتحليل الرمز في القصيدة باعتباره آلية فنية مكثفة مكّنت الشاعر من التعبير عن مأساة غزة وصمودها في مواجهة الاحتلال بلغة جمالية .

اعتمدت الدراسة آليتي التحليل والتأويل من خلال قراءة النص واستجلاء رموزه وربطها بسياقها الواقعي والإنساني، وتكمن أهمية هذا البحث في راهنيته إذ يسهم في تصوير أحداث غزة الحالية وما تشهده من عدوان صهيوني متواصل، كما يعكس الدور الذي يمكن أن يضطلع به الشعر المعاصر في إعادة تشكيل الوعي بالهوية والمقاومة في زمن الأزمات.

2. الذات الغزيرة وتمثل واقع المقاومة:

ليست المقاومة قشرة إنما هي ثمرة لبذرة تضرب جذورها عميقاً في الأرض، فإذا كان التاريخ ينبع من فوهة البندقية فإن البندقية ذاتها تنبع من إرادة التحرير، وإرادة التحرير ليست سوى النتائج الطبيعي والمنطقي والحتمي للمقاومة في معناها الواسع، المقاومة على صعيد الرفض وعلى صعيد التمسك الصلب بالجذور والمواقف، وفي الفترة التي امتدت بين سنتي 1948 و1968 قدّم الفلسطينيون من خلال أقصى ظروف القمع والأسر الثقافي نموذجاً تاريخياً للمقاومة بكل ما فيها من وعي وصمود وصلابة¹.

بعد هزيمة الأنظمة العربية في حزيران 1968 انتعشت المقاومة وشكلت بصيص أمل للشعوب العربية، فكانت خطوة إيجابية في تاريخنا المعاصر؛ إذ تمكنت من ممارسة مجموعة من الأعمال المسلحة ضد العدو الصهيوني أزعجته وأربكته حتى إن بعض العمليات البارزة في العمق شكلت ضربات موفقة لمواقع العدو الهامة، وأصبحت المقاومة حديث الناس في كل مكان: أنظمة الحكم، الأحزاب، التكتلات، الإذاعات، التلفزيونات، الصحف...، وانضم المتطوعون إليها أفواجا وجماعات دون شروط وضوابط فكان المناضلون الوطنيون ودُسَّ إلى جانبهم عدد غير قليل من الانتهازيين والمشبوهين، وضمت المقاومة عشرات المنظمات والكتل والتجمعات التي تبنت الأنظمة العربية بعضها وأقامت بعضها الآخر لأنها أدركت من جهة أن الشعوب تثق بالمقاومة أكثر من ثقتها بالأنظمة، ومن جهة أخرى لتغطي عجزها وهزيمتها، وحتى تبقى المقاومة في قبضتها وتحت سيطرتها².

إن كثرة المنظمات داخل حركة المقاومة دون توحيد صفوفها قلل من فعاليتها، إلى جانب عوامل أخرى أبرزها:

- غياب نظرية ثورية واضحة المعالم؛ فلا حركة ثورية دون نظرية " نهوض الحركة الثورية العربية المنظمة لا يمكن أن يكون دائماً إلا بقدر ما يستمد قوته من مشروع نظري يساعد على تعميق أسبابه، تنظيم وسائله، والبلورة المتواصلة للهدف النهائي لنضاله"³.

- لم تستطع المقاومة أن تلتحم بحركة الجماهير العربية عن طريق الالتقاء بقواها من خلال برنامج منظم، ولأن التحدي الصهيوني الإمبريالي من أعنف تحديات العصر فإن مجابهته بقوة الشعب الفلسطيني وحدها ليست إلا مجابهة ضيقة ومعزولة⁴.

- الضحالة السياسية عند قيادات المقاومة؛ إذ لم يتمتعوا بدرجة كافية من النضج السياسي، وهو ما لا يمكن أن يقود حركة ثورية إلى النصر.

- وجود المقاومة بشكل محدود في الأراضي المحتلة؛ إذ اعتمدت على إقامة قواعدها خارج أراضيها بشكل أساسي في الأردن وسوريا ولبنان خاصة في السنوات الأولى من قيامها⁵.

نجحت المقاومة في غزة لأنها كانت في الداخل وتمكنت من الاستمرار والصمود والتصاعد فأزعجت العدو خاصة بعد سيطرة حماس على قطاع غزة مع فوزها في الانتخابات التشريعية الثانية عام 2006 ثم عام 2008 وهيمنتها على الحكومتين العاشرة والحادية عشر⁶، فما كان من العدو إلا العدوان على غزة كانون الأول 2008 وكانون الثاني 2009 ثم 2012 و2014 و2019، وكل مرة كانت إسرائيل تعلن حصاراً اقتصادياً تفرض بموجبه قيوداً على دخول البضائع والمواد الأساسية إلى القطاع عبر معابرها الستة إلى جانب تحكمها بإيقاع ربط غزة بالعالم الخارجي عبر تقييد الحركة عبر معبر بيت حانون ومحاولات

وقف الحركة على معبر رفح ناهيك عن القصف والغارات ومنع حركة الملاحة البحرية وتعطيل مطار غزة⁷.

وازدادت جرائمها بشاعة وانتهاكاتها لأحكام القانون الدولي الإنساني ومجازرها الشنيعة على القطاع خاصة بعد العدوان الأخير أكتوبر 2023 رداً على الهجوم الذي قامت به الفصائل الفلسطينية باسم **طوفان الأقصى** بمبرر الدفاع عن النفس ومكافحة الإرهاب، فكان العدوان الأشد دماراً والأكثر انتهاكاً لحقوق الإنسان ، أسفر عن دمار شامل وأضرار جسيمة في حق المواطن الفلسطيني وما زال مستمراً في صمت دولي مخزٍ وغياب فعلي للمنظمات الحقوقية.

عملت فصائل المقاومة على شحذ همم المواطنين منذ وقت طويل، فالشعب والمقاومة متلاحمان ، فهو يؤمن بأنه صاحب الأرض وأن من سلبت أرضه فقد سلب عرضه وشرفه ويوقن يقينا تاما بوعده الله ورسوله بأن هذه الأرض ستكون للمسلمين وأن المقاتلين فيها عبر الزمن أصحاب حق وهم من المجاهدين، والميت منهم في سبيل الدفاع عن الأرض شهيد وهذا ما يكسبهم الحماس المطلوب والجاهزية النفسية للدخول في المعارك⁸.

عقب طوفان الأقصى تصاعدت انتهاكات الاحتلال الإسرائيلي لحقوق الشعب الفلسطيني بشكل بالغ الخطورة وغير مسبوق؛ حيث شن حرباً وحشية على قطاع غزة انتهكت خلالها جميع المواثيق والمعاهدات والاتفاقيات والأعراف الدولية، وارْتُكبت أثناءها مختلف الجرائم التي تعد جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية⁹؛ كعمليات الإبادة الجماعية والترحيل الإجباري للمدنيين من شمال غزة نحو جنوبها ثم إخلاء الجنوب والتدمير الواسع للممتلكات والمنشآت حتى المستشفيات والحصار والتجويع...

رغم كل هذه الانتهاكات، ظل المواطن الغزّي نموذجاً استثنائياً للصمود والمقاومة، ففي الوقت الذي عمل الاحتلال على كسر إرادة المدنيين عبر التدمير الشامل للمنازل والممتلكات أعاد المواطن الغزّي بناء فضاء جديد لحياته، فلجأ إلى المدارس والمساجد والخيام، أو العودة إلى بقايا دياره المخربة تأكيداً على التمسك بحق البقاء، وبلغت قوة الذات الغزّية ذروتها حين استقبلها خبر الاستشهاد، فحتى الأمهات يستقبلن استشهاد أبنائهم بوعي استثنائي يقوم على اعتبار أرواحهم وقوداً للحرية وضماناً لاستمرار القضية.

واكب الشعر العربي أحداث غزة الأليمة، فهو على قوته وسيلة بسيطة لمساندة القضية وشكل من أشكال التضامن معها وشاهد على دعم الشعوب لها في وقت سكنت فيه الأنظمة المخيبة لآمال الجماهير، وما هو الشاعر الموريتاني **أدي ولد آدب** يتمثل الذات الغزّية في قصيدته **حارق العنقاء في الطوفان**، ليجعل من الشعر فضاءً للمقاومة ومجالاً لترسيخ صورة الذات الغزّية الصامدة التي تحترق لتنهض من رمادها وتُبعث من جديد.

توحد الشاعر الموريتاني **أدي ولد آدب** بالذات الغزّية حتى بدا كأنه يعيش مأساتها من الداخل فهو لا يكتفي بوصف العدوان ومظاهر المقاومة، بل ينقل التجربة الوجودية للمواطن في غزة ويتماهاى معه، فلا يفصل بين الذات المبدعة والذات المقاومة فهي واحدة وهي جزء من معادلة الحياة والموت، يقول:

أنا ها هنا.. في غزّة.. عُنْوانِي

فَوْقَ الثَّرَى.. تحت الثَّرَى.. سَيَّانِ

لِلْحُبِّ.. أو لِلْحَرْبِ.. مَنُذُورُ أنا

فكلاهُمَا -لحقيقتي- وجهانِ

إِنِّي مُحِبٌّ.. للحياة.. بَعْرَةٌ

وَأُمُوتُ، كِي أَحْيَا، بِغَيْرِ هَوَانٍ¹⁰

ينقل الشاعر صوت الذات الغزيرة التي تماهى معها من داخل غزة سواءً فوق التراب أو تحته، في إشارة إلى أن الوجود فيها يعني التعايش مع فكرة الحياة بعزة أو الاستشهاد، لذلك فالمقاومة لم تعد خياراً إنما حقيقة حتمية.

غير أن الذات المقاومة تعيش مأساة أخرى وهي أنها وجدت نفسها وحيدة أمام خذلان إخوانها من العرب، يقول:

وَحْدِي .. أَقَاوِمُ .. لَا أُسَاوِمُ .. كَمْ رَمَى

فِي الْجُبِّ .. بِالْإِخْوَانُ .. وَ إِيَّائِي !

يفضح الشاعر الأنظمة العربية التي ظهرت على حقيقتها حين خذلت غزة وعمقت العزلة التي فرضها الاحتلال الصهيوني، يقول:

سَقَطَ الْقِنَاعُ .. فَغَزَّةُ كَشَفَتْ حَصِيـ

فَ التُّوتِ .. عَنِ سَوَاءِ كُلِّ جَبَانٍ

فغزة لم يبق لها أمام هذا الخذلان إلا مقاومة أبنائها وحسبها هم، فكل واحد منهم يمثل أمة كاملة وجيشاً بذاته والحياة عندهم ليست بمعنى واحداً إنما هي معاني عديدة، يقول :

انْزِلْ إِلَيَّ .. فَإِنَّ رُوحِي عَسْكَرٌ

وَالْفَرْدُ جَمْعٌ .. وَالْحَيَاةُ مَعَانِي

فالمقاومة لا تقاس بالعدد إنما بقوة أبنائها وعزيمتهم وصمودهم، لذلك فهم أمل أمتهم وفرسانها الذين سيرفعون راية نصرها، يقول:

يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ .. النَّزِيفُ حَيَاؤُهُ

تبًا لكم.. أنا آخرُ الفُرسانِ

يتوحد الشاعر مرة أخرى مع أرض غزة فهو إن لم يكن من ساكنيها فهي تسكن وجدانه، وإذا لم يقدر على المقاومة داخلها فهو يقاوم خارجها بشعره، يقول:

أنا من تَأَبَّطَ أَرْضُهُ.. إن لم أكن

من ساكنيها.. فهي من سُكَّانِي

إِنِّي كَتَبْتُ قَصِيدَةَ الطُّوفَانِ ضِمًّا

نُ غِلَافِ غَزَّةٍ.. فاقْرَؤُوا دِيوانِي

أنا شاعرُ الأرضِ.. المُدُنِّينِ نضيبها

ضاقت بحور الأرض عن أوزاني

فشعره لم يعد نصاً عادياً إنما شاهداً على الطوفان وإيقاعه من نبض أرضها، وأوزانه

ضاقت عن استيعاب ما يحدث فيها من قهرٍ وألم ودمار وصمود وثبات... ، لذلك فهو يمثل شكلاً من أشكال المقاومة.

لا يكتفي الشاعر بالانتصار للقضية ومساندتها، بل يصل التماهي إلى أقصاه حين

يذوب فيها فيغدو هو فلسطين وغزة مهجته، يقول:

فأنا فلسطينُ.. وَغَزَّةُ مُهْجَتِي

وطني -تَقَدَّسَ- ليس كالأوطان

تتجاوز فلسطين حدود الوطن العادي لأنها أرض مقدسة وهي الفكرة التي أراد الشاعر

ترسيخها والدفاع عنها ليصبح شعره شاهداً على قدسية القضية، ومن هنا انتمأؤه وتماهيها معها.

لم يكتف الشاعر بتصوير الذات الغزية وتمثلها لواقع المقاومة ، بل تجاوز ذلك إلى تكثيف نصه برموز مختلفة ليدل على معاني الثبات والاستمرار والخلود في أرض فلسطين وهو ما نلمحه انطلاقاً من عنوان قصيدته حارق العنقاء في الطوفان.

3. البعد الرمزي في قصيدة حارق العنقاء في الطوفان:

يحظى الرمز بحضور مهم في القصيدة المعاصرة، فهو من التقنيات الفنية المهمة التي أسهمت في تخطي اللغة الكلاسيكية والابتعاد عن التقريرية والمباشرة وهو يتأسس على الإيحاء والتكثيف، إذ يتيح للشاعر التعبير بعمق عن رؤاه وأفكاره، ويفتح النص على تعدد الدلالات.

قد يعتمد الشاعر إلى استخدام الرمز بغرض التخفي فلا يعبر عن أفكاره بطريقة مباشرة، أو ليعكس عمق رؤيته للعالم من خلال لغة الخلق والابتكار، فالشعر لا ينبغي أن يكون وصفيًا إنما رمزيًا ليدرك روح الأشياء التي تختفي وراء المظاهر فيصبح إيحائيًا¹¹.

اتخذ الرمز في الشعر العربي المعاصر أشكالاً مختلفة، نقف على أبرزها حضوراً في قصيدة حارق العنقاء في الطوفان لأدي ولد آدب:

1.3 الرمز الأسطوري:

شكل الرمز الأسطوري سمة مهمة في الشعر العربي المعاصر إذ انطلق الشعراء من "تحويل الأسطورة أو الحكاية إلى رمز أساسي أو صورة غنائية يشف عنها نظام القصيدة دون أن يبرز في القصيدة على سبيل الوصف والسر"¹²، فالشاعر لا ينقل صورة الأسطورة كما هي إنما يحولها إلى رمز ليوسع أفق الدلالة في نصه.

إن لجوء الشعراء إلى الرمز الأسطوري هو في الغالب للتعبير عن قيم إنسانية أو تجارب ذاتية أو لأسباب سياسية، فيتخذ الشاعر قناعاً يعبر به عن أفكاره ومعتقداته ورؤاه.

ميّز الرمز التموزي بشكل خاص نمط القصيدة المعاصرة وأطلقت تسمية الشعراء التموزيين على بعض الشعراء المعاصرين المولعين باستخدام الرمز الأسطوري التموزي ومن أبرزهم السياب و خليل حاوي ويوسف الخال وأدونيس، لأنهم عالجوا في شعرهم موضوع الموت والبعث الذي ترمز إليه أسطورة الإله تموز الذي يموت ويبعث من رماده، وقد اعتبره هؤلاء رمزاً لموت الشعوب العربية التي تسعى لتحرير أوطانها وخروجها من الظلمة إلى النور¹³، ولم يقف الشعراء عند استخدام هذا الرمز فقط إنما عمدوا إلى رموز أخرى تتفق ودلالاته أهمها طائر الفينيق والعنقاء، فاستخدموها بكثرة حتى بدت لغة الرمز الانبعاثي نسقاً مجازياً فنياً.

يعد الرمز الأسطوري من أبرز المقومات الفنية التي اعتمدها الشاعر أدّي ولد آدب في قصيدته حارق العنقاء في الطوفان، إذ يتجلى في عتبة العنوان وهي عتبة بالغة الأهمية تحتل موقعا مهما و متميزا في بنية النص، وهي أول ما يصادفه القارئ فيعطيه أولوية وأهمية باعتبارها مفتاحا تأويليا يحيل إلى فهم النص.¹⁴

فالعنوان هو اختزال للنص ومدخل كتابي له وأول ما تصطدم به آليات القراءة حال دخولها ميدان الإجراء النقدي ومفتاح مركزي من مفاتيحها¹⁵. وهو ما يبرز في القصيدة فحضور العنقاء في العنوان ينهض بوظيفة إيحائية ودلالية تكثف رؤية الشاعر بما تحمله من دلالات الاحتراق والانبعاث، إذ وظيفها ليرتقي بالذات الغزية من سياقها الواقعي إلى أفق رمزي ذي دلالات أعمق ، فالعنقاء بما تحمله من دلالة البعث بعد احتراقها شكلت رمزا لصمود غزة التي تنهض كل مرة من تحت الركام لتعلن عن استمرار المقاومة ، أما الطوفان فإشارة إلى طوفان الأقصى ويحمل أيضًا بعضًا رمزيًا دينيًا - طوفان سيدنا نوح عليه السلام- ليرمز به إلى ولادة جديدة، لكنه في الوقت ذاته يعكس عمق المأساة وقوة المقاومة

(الحرق ≠ الطوفان) فالعنقاء رمز للبعث والتجدد بعد الحرق، بينما يحيل الطوفان إلى قوة المياه وفيضانها، والجمع بينهما في السياق الشعري يُحوّل التناقض إلى قوة رمزية ، فبلاغة الحرق في الطوفان أشد ، وهي إشارة إلى قوة الذات المقاومة وصمودها، وأنها تمتلك القدرة على الخلود مهما اشتدت المحن، يقول:

يا حارقَ العنقاء.. غزة إنها

برمادها.. يقومُ جيل ثانٍ

بعد تكثيف العنوان دلاليا من خلال الجمع بين رمزي العنقاء والطوفان يأتي هذا المقطع في نهاية القصيدة ليكتنز دلالة رمزية عالية، ويؤكد على فكرة الخلود من بداية القصيدة إلى نهايتها، فهو يُسقط صورة العنقاء التي تُبعث من رمادها على غزة فهي وإن بدت تحترق تحت القصف تحمل في رمادها بذور جيل قادم يستأنف المقاومة بروح أشد صلابة، والشاعر يستخدم النداء يا حارق العنقاء ليوجه خطابه للعدو فيكشف له عجزه ، لأن (العنقاء / غزة) لن تقنى بالاحتراق بل ستولد وتبعث من رمادها.

2.3 الرمز الديني:

تستخدم القصيدة الرموز الدينية بقوة من خلال استدعاء بعض الأنبياء وتجاربهم بوصفها نماذج للصبر وقوة الجلد ولإضفاء بعد قدسي وروحي على فعل المقاومة ولجعل صمود الذات الغزبية امتدادا لتجربة الأنبياء:

- إبراهيم عليه السلام: يقول الشاعر:

انْظُرْ إِلَيَّ.. أَقَاتِلُ النَّيْرَانَ.. هل

لي بردُ إبراهيم.. في النيران؟

فالشاعر/الغزي يرجو من الله سبحانه وتعالى أن يخلصه من نيران العدو وبطشه كما
خلص ابراهيم عليه السلام بأن جعل النار بردا وسلاما عليه.

-أيوب عليه السلام: يقول الشاعر:

انظر إليّ.. بصبر أيوب.. أقا

سي ظلم هذا العالم الشيطاني!

تمثل الذات الغزية تجسيدا لصبر سيدنا أيوب عليه السلام على البلاء وقوة التحمل

-يوسف عليه السلام: يقول الشاعر:

وحدي.. أقاوم.. لا أساوم كم رمى

في الجُبِّ.. بالإخوان.. وإخواني!

يجعل الشاعر من الذات الغزية صورة موازية لصورة سيدنا يوسف عليه السلام في

خيانة القريب قبل البعيد -الإخوان- اذ تواطأ العرب على حصار غزة ومعاناتها دون أن

يحركوا ساكناء، بل رموا بها في قاع الجب للدلالة على العزلة والاقصاء، غير أن هذه الذات

ستنجو بصمودها ووحدتها، وبنصر من الله سبحانه وتعالى كما نصر سيدنا يوسف وكرمه

بعد محنة طويلة.

- يونس عليه السلام: يقول الشاعر:

لا شيء يُؤنسُ "يُونُسِي" المنبوذ.. في

ملا.. سوى يَقْطِنة الإيمان

يستحضر الشاعر تجربة سيدنا يونس في بطن الحوت حين وجد نفسه وحيدا منبوذا لا

يؤنس غربته سوى عناية الله ، ليشير إلى قوة الإيمان بقدرة الله في رعاية أهل غزة ويؤكد هذا

من خلال استحضار رمز آخر وهو اليقطينة التي أنبتها الله ليونس عليه السلام بعد خروجه

من بطن الحوت لتكون له رحمة وشفاء، وكذلك هو عزاء أهل غزة في يقينهم وانتكالهم على الله سبحانه وتعالى فالنبذ والحصار لا يواجهه إلا اليقين بالله والاتكال عليه.

-آدم عليه السلام: يقول الشاعر:

سَقَطَ الْقِنَاعُ.. فغَزَّةُ كَشَفَتْ خُصِيْدَ

فَ النَّوْتِ.. عَن سَوَاءَاتِ كُلِّ جَبَانٍ

فَإِذَا بَادَمَ.. لَيْسَ آدَمَ.. إِنَّمَا

قَابِيلُ.. مَاتَ ضَمِيرُهُ الْإِنْسَانِي

تختلف تجارب الأنبياء الذين رمز من خلالهم الشاعر إلى تجربة الذات الغزية ومقاومتها لكنها تتفق في دلالتها على الصمود وقوة اليقين والصبر، وهو ما يؤكد من خلال النبي آدم عليه السلام، فإذا كان الله قد منَّ عليه بأن جعل له الأوراق ليواري سوءته بها فإنه فضح العرب بأن جعل غزة تكشف كل من خذلها منهم، وهنا يعود الشاعر مرة أخرى إلى خذلان الإخوة غير مستند إلى الأصل النبيل الذي يجمع البشر وهو سيدنا آدم إنما قابيل الذي قتل أخاه بدم بارد ليجعل الخونة من سلالته، لأن ضمايرهم ماتت وتجردوا من قيم الأخوة والإنسانية.

-موسى عليه السلام: يقول الشاعر :

عَزَمِي عَصَى مُوسَى أَهْشُ بِهَا عَلَى

قُطَاعِ طُرُقِ اللَّهِ.. كَالْقُطْعَانِ

وَيَدَايَ.. مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ.. نَقَوْنَا

اصمْتُ.. خُورَ الْعَجَلِ، فِي الْأَوْتَانِ

يرمز الشاعر من خلال عصا سيدنا موسى عليه السلام إلى عزيمة الذات الغزية فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أيدّه بها للحد من بطش فرعون وطغيانه، فإن هذه الذات ستحد من جبروت المحتل وتطرده من أرضها فهو كقطاع الطرق يذهبون ويعتدون بغير وجه حق، كما أن هذه الذات ستسير على هدي سيدنا موسى عليه السلام الذي أمر بحرق العجل ونسفه لما رجع ووجد قومه له عابدون، فكذلك هي ستحارب وتسكت كل عقيدة خاطئة .

- نوح وسليمان عليهما السلام: يقول الشاعر:

إني أنا السَّامِيُّ.. حقا.. من أبي:

نُوحٍ.. وَرِثْتُ.. بطولة الطُّوفَانِ

عَصَفْتُ عَلَى الْأَحْزَابِ رِيحَ النِّصْرِ لِي

فَافْقَرْتُ وَادِ النَّمْلِ.. قَيْدَ ثَوَانِ

يعتز الشاعر الغزي بعروبته فهو سامي من أبناء سيدنا نوح عليه السلام، ومنه ورث الطوفان الذي نجى به الله سبحانه وتعالى نبيه ومن آمن معه وليعاقب به الكافرين والمكذبين فأغرقهم فيه، وكذلك طوفان غزة يرمز إلى تطهيرها من المحتل الصهيوني ويرمز للبعث؛ فبعده ستكون بداية جديدة. وهنا يتقاطع رمز الطوفان مع رمز العنقاء ليشيرا إلى استمرار المقاومة التي ستجتاح العدو وتطهر الأرض منه.

يؤكد الشاعر معنى النصر حين يقرنه بالريح دلالة على قوته فسيسحق المعتدي

ويجعله يختبئ خوفا في ثوان كالنمل في إشارة إلى قصة سيدنا سليمان، يقول الله تعالى : " حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ " (سورة النمل ، الآية 18) .

استثمر الشاعر في قصيدته هذه الرموز الدينية المستمدة من قصص الأنبياء ليؤسس

من خلالها معنى المقاومة والصمود فالتجارب على تباينها تلتقي في كونها تجارب ابتلاء

ومحن وتنتهي إلى انتصار قيم الإيمان والثبات، ليؤسس من خلالها انتصار الذات الغزية في محنتها.

3.3 الرمز الطبيعي:

لقد وجد الشاعر العربي في الرموز الطبيعية مجالاً رحباً للتعبير عن رؤاه ومواقفه، خاصة في القضايا التي ترتبط بالهوية والأرض، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، وهو ما نلمسه بوضوح في قصيدة حارق العنقاء في الطوفان، حيث وظف أدي ولد آدب الطبيعة لتعكس صورة عن الأوضاع في غزة، بداية بالطوفان فهو ناهيك عن كونه رمزاً دينياً رمز طبيعي أشار به الشاعر إلى التطهير والانبعاث شأنه شأن العنقاء، وهي رمز أسطوري طبيعي أشار من خلاله الشاعر إلى أن الذات الغزية ستنهض وتبعث كما تبعث العنقاء من رمادها، وهنا تتداخل عناصر الطبيعة (النار، الرماد، الطوفان) لتشكل خطاباً شعرياً يؤكد على فكرة البقاء والتجدد في مواجهة الفناء.

تعد الأرض من أقوى رموز طبيعية دلالة على الهوية والثبات والصمود والانتماء وقد جعل منها الشاعر كيانا وجوديا يتوحد معه، يقول:

الأرض لي، ومعى تُحارب، صخرها

من طينتي.. أشجارها أجفاني

لي مأواها، وغذاؤها، وهواؤها

يا للحنين.. الجائع.. الظمان

أصبحت علاقة الشاعر بالأرض علاقة وحدة عضوية فهي تحارب معه وصخرها من طينته وأشجارها أجفانه، فلم تعد مكانا فحسب بل جسدا يعكس صورته ومحنته، فهي تختنق وتجوع وتظمأ مثله.

من خلال صورة الأرض وما اتصل بها من رموز طبيعية (الصخر، الأشجار، الماء، الغذاء، الهواء) يُجسد الشاعر علاقة الانتماء والتوحد مع الأرض ليعكس بذلك إصرار الذات الغزية على التشبث بجذورها والذود عن هويتها فهي امتداد لها ومرآة لوجودها، وهكذا تتحول الطبيعة إلى كائن حي يشارك الإنسان مقاومته ومعاناته في الوقت ذاته.

4. خاتمة:

خلص البحث إلى أن قصيدة "حارق العنقاء في الطوفان" للشاعر الموريتاني أدّي ولد آدب لا تقف عند حدود توثيق مأساة غزة، بل تحوّلها إلى تجربة رمزية ذات أبعاد إنسانية وكونية، فقد أبرزت الدراسة كيف تمثلت الذات الغزية في النص باعتبارها كياناً وجودياً يجمع بين المعاناة والصمود، وبين الاحتراق والانبعاث، في صورة تجعل من غزة رمزاً متجدداً للمقاومة. وقد وصل البحث إلى جملة من النتائج أهمها :

- جسّد الشاعر الذات الغزية باعتبارها كياناً وجودياً يجمع بين تجربة الألم وقوة المقاومة.
- ارتقى النص من التوثيق المباشر للحدث إلى مستوى رمزي يجعل غزة مرآة للوعي العربي والإنساني.
- شكلت الرموز حضوراً مهماً في القصيدة انطلاقاً من عتبة العنوان منها الأسطورية وأبرزها العنقاء، لتأكيد فكرة الانبعاث المتجدد والخلود.
- وظّف الشاعر رموزاً دينية انطلاقاً من تجارب بعض الأنبياء لتعزيز قيم الصبر والثبات والانتصار.
- استثمر النص رموزاً طبيعية لتعكس علاقة الانتماء بين الذات الغزية وأرضها.

5- الهوامش:

- ¹ ينظر: غسان كنفاني، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال (1948-1968)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط1، 1968، ص9
- ² ينظر: غسان العطية وآخرون، المقاومة الفلسطينية الواقع والتوقعات، مجلة دراسات عربية، 1971، ص243-246
- ³ العفيف الأخضر، بعد المذبحة ما العمل، دراسات عربية، ع6، نيسان 1971، ص26
- ⁴ ينظر: غسان العطية وآخرون، المقاومة الفلسطينية الواقع والتوقعات، ص5
- ⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص248-249
- ⁶ ينظر: عاطف أبو سيف ومهند مصطفى، ما بعد الحرب على غزة - قراءة في التصورات الإسرائيلية، مؤسسة الأيام، رام الله، 2014، ص19
- ⁷ ينظر: المرجع نفسه، ص21
- ⁸ ينظر: صوشة حمزة وقارة وليد، الاستراتيجية السياسية والعسكرية للمقاومة الفلسطينية في معركة طوفان الأقصى، مجلة السياسة العالمية، المجلد09، العدد01، 2025، ص215
- ⁹ ينظر: وسيم عبد الكريم جرادات وحسينة بلمختار، انتهاكات الاحتلال الإسرائيلي لحقوق الشعب الفلسطيني عقب عملية طوفان الأقصى، مجلة السياسة العالمية، المجلد08، العدد02، 2024، ص854
- ¹⁰ أدي ولد آدب، حارق العنقاء في الطوفان، منصة الصدى الرقمية، 7 نوفمبر 2023، تم الاطلاع بتاريخ 15 أوت 2025، <https://essada.info/95700>
- ¹¹ ينظر: باقي أحمد، رمزية الشعر المعاصر، مجلة النص، أفريل 2017، ص331
- ¹² خليل حاوي، قيم جديدة في الشعر العربي الحديث، مجلة الآداب، ع2، شباط 1970
- ¹³ ينظر: روز غريب، الشعراء التمزيزن - السياب، مجلة الأديب، لبنان ع5-6، يونيو 1980، ص19
- ¹⁴ ينظر: مهاجي فائزة، دلالة العنوان في الشعر العربي المعاصر - إبراهيم نصرالله نموذجاً -، مجلة النص، سبتمبر 2016، ص144
- ¹⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص145

6. قائمة المراجع:

- الكتب :

- عاطف أبو سيف ومهند مصطفى، ما بعد الحرب على غزة - قراءة في التصورات الإسرائيلية، مؤسسة الأيام ، رام الله ، 2014
- غسان كنفاني، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال (1948-1968) ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت، ط1، 1968

- المجالات :

- باقي أحمد ، رمزية الشعر المعاصر ، مجلة النص ، أبريل 2017
- خليل حاوي ، قيم جديدة في الشعر العربي الحديث ، مجلة الآداب، ع2 ، شباط 1970
- روز غريب ، الشعراء التموزيزن - السياب ، مجلة الأديب ، لبنان ع 5-6 ، يونيو 1980
- صوشة حمزة وقارة وليد ، الاستراتيجية السياسية والعسكرية للمقاومة الفلسطينية في معركة طوفان الأقصى ، مجلة السياسة العالمية ، المجلد09، العدد01، 2025
- العقيف الأخضر، بعد المذبحة ما العمل ، مجلة دراسات عربية ، ع6، نيسان 1971، ص26
- غسان العطية وآخرون، المقاومة الفلسطينية الواقع والتوقعات ، مجلة دراسات عربية ، 1971
- مهاجي فائزة ، دلالة العنوان في الشعر العربي المعاصر -إبراهيم نصرالله نموذجاً-، مجلة النص ، سبتمبر 2016

- وسيم عبد الكريم جرادات وحسينة بلمختار، انتهاكات الاحتلال الإسرائيلي لحقوق الشعب الفلسطيني عقب عملية طوفان الأقصى، مجلة السياسة العالمية ، المجلد08، العدد02، 2024

- المواقع الإلكترونية :

- أدي ولد آدب ، حارق العنقاء في الطوفان، منصة الصدى الرقمية ، 7نوفمبر 2023 ، تم الاطلاع بتاريخ 15أوت 2025، <https://essada.info/95700>